ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الحشد الشعبي أكبر من فصيل عسكري وأبعد من مجرد تيار شعبي

محمد صادق الحسيني

ونحن على أعتاب الحسين وبداية الملحمة العاشورائية، نرى من المهمّ الحديث عن حشدنا الشعبي العراقي المقدّس.

قد يكون من المهمّ ان نعطي المرجعية الدينية العليا في العراق حقها ونشير الى فضلها في إطلاق مشروع الحشد الشعبي العراقي في لحظة تاريخية فاصلة من تاريخ العراق لم يكن بالإمكان عبورها إلا من خلال فتوى المرجعية الرشيدة .

لكن ما لا يقلّ عنه أهمية أيضاً بتقديري هو التوقف طويلاً عند المخزون الشعبي الهائل من الذاكرة العراقية المتأجّجة تديّناً ووطنيةً وهمّةً، والتي كانت تبحث عن لحظتها او فرصتها التاريخية لتعبّر عن نفسها بطريقة مختلفة ومتميّزة، فجاءت الفتوى بمثابة الشرارة التي أشعلت حقولاً وليس فقط حقلاً واحداً من الطاقات الكامنة في أجيال من عمر الإنسان العراقي الذي شكل عملياً البيئة الحاضنة التي لولاها ما كان لأيٍّ كان ولا لأيّ تعليمات مهما بلغت في قدسيتها أن تحرّك هذا الطوفان الهادر وباتجاه الأهداف العليا المنشودة بهذه السرعة وبهذا الزخم الذي رأيناه يشتعل على أرض الرافدين الطاهرة والمطهّرة كالنار في الهشيم.

لرسم بعض ملامح صورة ما حصل ومستمر في الحصول في العراق يمكننا الاستعانة بقول إحدى أمهات الشهداء وهي تخاطب أهل الموصل بعد التحرير مباشرة بالقول:

ترسناكم... فرح، والحزن بينا يطوف!

أيّ لقد قدّمنا لكم هذه الفرحة يا أهلنا الموصليّين بكلّ فخر واعتزاز، بفعل عملية التحرير والتطهير التي أنجزها أبناء العراق لكم، لكن ذلك ينبغي ان لا يجعل أحد ينسى او يتناسى بأن ذلك يحصل وحزام الحزن الكبير والواسع الذي يلفّ من حولنا – نحن جمهور الناس – طولاً وعرضاً على امتداد جغرافيا العراق وتاريخه وأعماقه كان حاضراً على امتداد فعل التحرير والتطهير وما بعده.

انها خلطة وعجينة عجيبة وفريدة من نوعها قد تلخص ليس سيكولوجية فلسفة طواف الحزن العراقي فحسب، بل وربما يمكنها أن تشكل فلسفة القهر العام الذي تعيشه جماهير الأمة العربية والاسلامية على امتداد وطننا الإسلامي الكبير وعلى امتداد قرون التاريخ الطويلة.

هي فلسفة هاجر بين الصفا والمروة، هي فلسفة الطواف حول الكعبة، هي فلسفة الطف والطواف حول العقيدة وترجمانها الحي المتمثل بثورة الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين وكلّ من سار على نهج الحرية وشعلتها المتقدة عبر الأجيال.

والا كيف ينام العراق والأمة معه على ضيم في لحظة غفلة من الزمان بفعل داعش وأخواتها في العام ٢٠١٤ على خلفية جيش متقهقر ودولة تائهة وعراق حزين، ليستفيق في العام ٢٠١٧ على حشد يضاهي اكبر جيوش المنطقة ويصبح واحداً من أعمدة النور التي ستغيّر وجه العالمين العربي والإسلامي انْ لم يكن العالم، وليس العراق وحده.

إنه ليس مجرد كمّ من البشر حملوا البنادق وتدرّبوا للدفاع عن وطنهم وخاضوا معارك الدفاع المقدس عن دينهم وعرضهم وأرضهم، وهو ما حصل بالفعل أيضاً.

إنه ليس فقط تضافر جهود المخلصين من أبناء العراق لتعبئة الناس باتجاه القيام بالواجب الديني والقومي والوطني .

إنه ليس فقط انصهار فصائل وكتل وتيارات وأحزاب وقوى وطوائف او مذاهب من أجل الدفاع عن العراق واستعادة أرضه وقيَمه من الخصم المتوحش.

إنه حتى بمعنى من المعاني كما أسلفنا أبعد وأعمق وأكثر تعبيراً من مجرد فتوى دينية خطيرة رغم أهميتها الكبرى ودورها المتميّز.

إنها صيرورة فعل وانفعال وجدان شعب بجمهوره ورجاله الممتازين وتراكم وتبلور عقل قيادة دينية ووطنية تاريخية، أثمرت ما بات يُعرّف عنه اليوم باسم «الحشد الشعبي العراقي».

وعليه فالحشد اليوم ليس جسماً عسكرياً تابعاً للقيادة العسكرية العراقية فحسب، ولا تشكيلاً أو مكوناً مجتمعياً يضمّ ألوية وسرايا وكتائب وفصائل وتيارات شعبية عراقية فحسب،

ولا هو مشروع إعادة صياغة الجسم الوطني العراقي بعد كلّ ما أصابه من كسور ورضوض وأمراض او وعكات او تعثر فحسب.

إنه مشروع إعادة بناء العراق من جديد على أسس ومعايير وفلسفة بناء مشروع مدنية دينية معاصرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

بل قد يكون حتى أوسع وأبعد مدى من ذلك كله، إنه يرقى الى أن يكون مشروع حركة تحرر وطني للعراق كما يمكن له ان يتحوّل مستقبلاً نموذجاً يُحتذى به من سائر بلدان العالم .

تماماً كما لعب مثل هذا الدور مشروع حزب اللّه لبنان وأنصار اللّه اليمن وكلّ أشكال التعبئة والنهضة الحديثة في أمصارنا العربية والاسلامية، وإذا ما تجاوزنا الفكر السياسي الضيق، فنقول مثل مشروع الحرس الثوري الإيراني.

إنه عين العراق التي بها يحافظ على وحدته وانسجامه وقوامه الوطني والعقيدي كما هو عين العراق على الأمة، بما يسير في لحظة مصيرية ما كما هي الآن حيث تتبلور وحدة الدم ووحدة الساحات، الأمر الذي بات يشكل الواقع الأقوى الذي يفرض نفسه في ظلّ حراك حثيث دولي باتجاه إعادة صياغة نظام عالمي جديد.

نظام سيكون لنا فيه نحن المسلمين والعرب والعراقيين بشكل خاص دور متميّز وأساسي في العهود المقبلة.

وعليه نستطيع القول إنّ فلسفة الحشد الشعبي استطاعت خلال الأشهر القليلة الماضية ان تسير بسرعة فائقة ما جعل هذا الكيان الوليد يبرز وسط تزاحم الأضداد بمثابة الرقم الصعب الذي سيلعب دوراً مركزياً مهمّاً ليس فقط في إعادة صناعة عراق مختلف ومتميّز يتجاوز فيه عثرات ونكسات ما بعد ثورة العشرين العراقية العظيمة، بل سيرقى قريباً الى مصاف القوى التي ستلعب دوراً في إعادة صياغة المجتمع الدولي الجديد، مجتمع ما بعد سقوط معادلتي سايكس بيكو ومعادلة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية.

بعدنا طيّبين قولوا اللّه

هل لدى الشعوب بصيرة تاريخية جمعية؟

ناصر قنديل

– يتحدث علم الاجتماع السياسيّ عن ما يُسمّى بالوجدان الجمعي للشعوب، لجهة وجود منظومة قيم ترسم ضوابط السياسات التي تجعل الحاكم مجبراً على أخذها بالاعتبار، وتجعل القوى السياسيّة مدفوعة للتنافس في إثبات الأهليّة لحمايتها والعمل لرفع مكانتها، لكن لا حديث مثبتاً علمياً عن بصيرة تاريخيّة جمعيّة للشعوب، تفسّر بعض التحولات التي تأتي كأنها بفعل قوى خفية واعية رسمت مساراً لتغييرات في القيادة أو في السياسات بقوة حضور الشعب بصورة ذكية ومتقنة وعلى خلفية حسابات دقيقة.

– في بريطانيا كان السؤال المربك هو كيف يمكن تفسير خروج مئات الآلاف في الشوارع دعماً لفلسطين من جهة، وتقديم الدعم الكامل لإيصال حزب العمال إلى الحكم، وهو يحمل مواقف لا تختلف عن مواقف حزب المحافظين من حرب غزة وحقوق الشعب الفلسطيني، حتى تشكلت أول حكومة بعد الانتخابات، وقال وزير الخارجية الجديد، إن لندن لا تستطيع التغاضي عن حجم الجرائم التي يرتكبها جيش الاحتلال بحق الفلسطينيين، وأعلن أن حكومته لا تستطيع التفرج والتصرف وفق السياسات القديمة، وأنها سوف تستخدم ثقلها لفرض حل ينهي هذه الحرب، بحيث بدا اختيار الناخب البريطاني لحزب العمال جاء بخلفية قطع الطريق على عودة حزب المحافظين لكن من ضمن تعاقد غير معلن، وغير محكي، وغير مكتوب، بين العمال والناخبين بأن السياسات يجب أن تتغيّر.

– في فرنسا وجّه الناخبون في الدورة الأولى من الانتخابات رسالة الغضب لحزب الرئيس إيمانويل ماكرون، وحدّدوا حجم حزبه السياسي، بصفته لاعباً طارئاً على المشهد الفرنسي عليه الاستعداد للرحيل، وبدت رسالة الدعم القويّة شعبياً لليمين علامة تحول تاريخيّ لفرنسا والفرنسيين، لكن هؤلاء الناخبين في الدورة الثانية قاموا بتصحيح خطأ افتراضيّ قبل وقوعه فقطعوا الطريق على اليمين ومنعوه من الحصول على أغلبيّة تتيح له تشكيل حكومة، وفرضوا حلفاً انتخابياً بين حزب ماكرون واليسار، بصورة انتهت بإقصاء اليمين عن المرتبة الأولى لصالح اليسار، بما ترك الباب مفتوحاً لحكومة تضمّ اليسار وحزب ماكرون، ولكن دائماً على قاعدة تصويتين عقابيين متتاليين، الأول لماكرون بتصعيد اليمين، والثانية لليمين بتصعيد اليسار.

– في إيران حيث حملت الانتخابات الرئاسيّة مرشحاً محسوباً على التيار الإصلاحي إلى رئاسة الجمهورية هو الرئيس مسعود بزشكيان، لم يظهر فشل المرشح المحافظ سعيد جليلي بالفوز هزيمة للقوى المساندة للمقاومة، وقد أكد الرئيس بزشكيان في رسالته الجوابيّة على التهنئة للسيد حسن نصراللّه التمسك بخيار دعم المقاومة وقواها، فظهرت إيران كأنها أنهت مرحلة مراكمة فائض القوة، بعد انتصارات محور المقاومة من جهة، وتظهير الحضور القويّ لإيران كقوة مهابة الجانب عسكرياً، عبر الرد الرادع على استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، والانكفاء الأميركي الإسرائيلي عن الردّ على هذا الرد الرادع وإخلاء الساحة الاستراتيجية لإيران في المنطقة، وبفضل هذه المكانة وتلك الإنجازات، بات بمستطاع إيران توسيع هوامش الحريات داخلياً، وفتح المجال خارجياً أمام اختبار علاقة ندّية مع الغرب عبر إتاحة الفرصة لاختبار تفاوضي يعطيه وصول رئيس إصلاحيّ فرصاً قوية، فيمنح من يريد القول إن التغيير نحو إيران ليس ضعفاً بل لأن إيران تغيّرت، ويسقط إمكانية التذرع بالتشدّد الإيراني، ويتحوّل الى حجة إيرانية للتشدد اذا لم يقدم الغرب على ما يلزم.

– في تركيا عاقب الناخبون حزب العدالة والتنمية الحاكم على موقفه المتخاذل في نصرة غزة، وتقاطعت الرسالة الشعبية مع متغيّرات كشفت خطأ سياسات حكومة رجب أردوغان، من تراجع أوكراني أضعف حجة القوى الواقفة في الوسط، خصوصاً من يدّعون الصداقة بروسيا، وبالتوازي ظهر التقدّم الإيراني إلى المرتبة الأولى إقليمياً مع تراجع إسرائيلي بائن، وتراجع أميركي بائن، لكن أيضاً مع تراجع تركي بائن، وتحوّلت الرسالة الشعبيّة السلبية لأردوغان وحزبه مدخلاً لإعادة صياغة مكانة تركيا في الإقليم، بحيث جاء الانفتاح التركي على سورية تعبيراً عن تلقي رسالة الناخبين، وترجمة لسياسة تستثمر على العلاقة الأشدّ قوة ووضوحاً مع روسيا وإيران، وابتعاد واقتراب وفق المصلحة مع الغرب عموماً وأميركا خصوصاً.

هدهد المقاومة يتحدّى «التفوق» «الإسرائيلي»

مصطفى عواضة

نشر الإعلام الحربي في المقاومة الإسلامية الحلقة الثانية من الهدهد؛ عُرضت فيه مشاهد استطلاع جوي لمواقع استخباراتية ومقار قيادية ومعسكرات في الجولان السوري المحتل، ما يعكس قدرة المقاومة على الرصد والاستطلاع لمناطق ذات أهمية استراتيجية بالنسبة إلى العدو الصهيوني.

كان الإعلام الحربي قد نشر الحلقة الأولى من الهدهد، في حزيران/ يونيو الماضي، عرض فيها مسحًا دقيقًا لمناطق في شمال فلسطين المحتلة، في مدينة حيفا، حيث تضمنت مشاهد لمجمع الصناعات العسكرية لشركة «رافائيل» ومنطقة ميناء حيفا العسكرية والمدنية ومحطة كهرباء حيفا ومطارها وخزانات النفط والمنشآت البتروكيميائية، بالإضافة إلى مبنى قيادة وحدة الغواصات وسفينتي «ساعر ٤,٥» و«ساعر ٥» المخصصتين للدعم اللوجستي.

وأفاد إعلام العدو أن هذه المشاهد قد صُوّرت قبل حوالي شهرين، الأمر الذي يعكس تطور القدرات الاستطلاعية لحزب اللّه بسبب البعد الزمني بين رصد الأهداف ونشرها، فضلًا عن أن بعض القواعد التي ظهرت في المقاطع المصوّرة قد تعرضت لهجمات سابقة من المقاومة خلال الأشهر التسعة الماضية، ومنها العديد من القواعد العسكرية في الجولان السوري المحتل.

لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، فأكثر من ٧٠٪ من المناطق في إصبع الجليل قد تضررت جراء صواريخ حزب اللّه وأكثر من نصف سكان كريات شمونة يرفضون العودة إلى منازلهم، بحسب وسائل إعلام العدو التي رأت أن هذه التحركات الإعلامية والاستطلاعية تمثل جزءًا من استراتيجية أوسع لحزب اللّه، تهدف إلى تعزيز قدراته الردعية وتحسين موقفه التفاوضي في المنطقة.

الخبير بالشؤن العسكرية العميد عمر معربوني يؤكّد، في حديث لموقع العهد الإخباري، أن :» المضمون الأساسي لرسالة الهدهد هو الردع، فعندما نكون أمام استطلاع وثيق ودقيق لمنطقة حساسة في منطقة الجولان السوري المحتل يعني أن غالبية المواقع التي جرى استطلاعها ترتبط بالجبهة السورية وليس بالجبهة اللبنانية، باستثناء مركز التزلج الغربي المرتبط إلى حد ما بالأراضي اللبنانية".

ويقول معربوني:»إنّ بقية الأهداف ترتبط بشكل كامل بالجبهة السورية وما بعدها، وصولًا إلى الحدود العراقية، وربما أبعد. على أساس أنّ الاستطلاع شمل أهم ستة قواعد استطلاع وإنذار مبكر استراتيجية، إضافة إلى مواقع القيادة والسيطرة، وما إلى ذلك». ويضيف المتحدّث :»لقد كشفت المقاومة، في مشاهد «الهدهد٢»، المواقع الأساسية والحساسة كافة التابعة للجيش «الإسرائيلي» في الجولان السوري المحتل، إضافة طبعًا إلى كامل ثكنات ومواقع تموضع الفرقة ٢١٠ بما يوازي عمليات مسح بلغت تقريبا ١٨٠٠ كم".

ويوضح أنّ :» المقاومة كشفت تنامي قدراتها، من خلال الهدهد وبعض معرفتها بتفاصيل التموضع الصهيوني، بالرغم من «التفوق الإسرائيلي» الكبير، إلا أنها وصلت إلى مرحلة تستطيع أن تعرف فيها عن جيش العدو كل ما تريد أن تعرفه، من خلال إفشالها لأنظمة الرصد «الإسرائيلية» التي تتتبّع المُسيّرات وتمنعها من تنفيذ مهامها، وتُشرّح كل هدف كبير إلى أهداف صغيرة بكل تفاصيلها".

ويلفت الخبير العسكري إلى أنّ الأسلوب الذي تعتمده المقاومة الإسلامية، في الحرب الإعلامية والنفسية، أسهم في زيادة منسوب التأثير على الوعي «الإسرائيلي»، عساكر ومستوطنين، كما أنه سيسهم في رفع مستوى الإرباك في منظومة تقدير الموقف السياسية والعسكرية في كيان العدو، ما سيُعقّد آلية اتخاذ القرار".

ويُشدد الخبير العسكري على أنّ :»مشاهد الهدهد أظهرت المستوى العالي لمنظومة القيادة والسيطرة في المقاومة»، وبرأيه ستخلق نوعًا من الشكوك الكبيرة حول طريقة استخدامها في عملية جمع المعلومات؛ لأنّ الكثير من المعلومات لا يمكن تأكيدها عبر الاستطلاع التقني فقط، ما يعني أن العدو سيكون أمام مشكلة كبيرة هي الاستعلام البشري".

في ختام حديثه لـ»العهد»؛ يشير العميد معربوني إلى أنّ :» ظهور الآية والطير صافات في نهاية المقطع المصوّر، كما في هدهد واحد، يعني أنّ الاستطلاع ما يزال مستمرًا ولم يتوقف.. والكل ينتظر ويترقب إلى ما ستُظهره الحلقة الثالثة من الهدهد المرتبطة بمنطقتي صفد وطبريا، وهما منطقتا النسق الثاني لجبهتي لبنان وسوريا، ما يعني أن العدو بات منكشفًا، سواء في الحافة الأمامية أم حتى في النسق الثاني، بكل ما يحويه من قواعد أساسية مرتبطة بجبهتي لبنان وسوريا، بشكل أساسي".

انتخابات فرنسا ولّدت أزمة سياسية

حسن حردان

تمثلت مفاجأة الانتخابات الفرنسية في جولتها الثانية، باحتلال الجبهة الشعبية اليسارية الصدارة، وتراجع اليمين المتطرف ممثلا بالتجمع الوطني إلى المرتبة الثالثة، خلف تحالف معاً الذي يرأسه الرئيس إيمانويل ماكرون الذي نجح أيضاً في تعويض بعض خسارته في الجولة الأولى من الانتخابات واحتلّ المرتبة الثانية، لكنه خسر الأغلبية التي كانت تمكنه من الحكم، وبذلك فإنّ فرنسا تجنّبت حكم اليمين المتطرف، وعاقبت ماكرون وحزبه على سياساته الاقتصادية والاجتماعية، والتي أدّت إلى تراجع الاقتصاد وتنامي الدين وانخفاض مستوى معيشة الفرنسيين والحد من مكتسباتهم الاجتماعية

على أنّ هذه النتائج عكست تحوّلاً في موقف الرأي العام الفرنسي، للأسباب التالية:

السبب الأول، استنفار الفرنسيين في الجولة الثانية، للمشاركة بكثافة في التصويت في الانتخابات مما رفع نسبة المشاركة التي بلغت عتبة الـ ٧٠ بالمئة، بعد أن أحدث تقدّم اليمين المتطرف في الجولة الأولى قلقا لدى غالبية الفرنسيين من ان يتصدّر النتائج ويصعد إلى سدة السلطة..

السبب الثاني، أنّ الفرنسيين أرادوا التخلص من حكم الرئيس ماكرون وسياساته الليبرالية التي أدت إلى الصعوبات التي باتوا يواجهونها لا سيما لناحية ارتفاع الأسعار والضرائب وتدهور مستوى معيشتهم، والتعديلات التي طرأت على قانون العمل، والتي أفقدت الفرنسيين العديد من الضمانات الاجتماعية لمصلحة أرباب العمل.

السبب الثالث، توحد قوى اليسار في جبهة واحدة وطرحها برنامجاً يلبّي مطالب عامة الفرنسيين بالتغيير ويضع حداً للسياسات الليبرالية التي سادت خلال حكم ماكرون، وذلك بالعمل على خفض الأسعار والضرائب

وسن التقاعد، الأمر الذي وفر للفرنسيين خياراً بديلاً يجنبهم استمرار حكم ماكرون وسياساته، وفي نفس الوقت تدارك وصول اليمين المتطرف إلى سدة الحكم..

السبب الرابع، التكتيك الناجح الذي اعتمدته جبهة قوى اليسار مما مكنها من العودة إلى الواجهة وقطع الطريق على أقصى اليمين بالفوز بالمركز الأول في الانتخابات، حيث نجح اليسار في تحقيق المفاجأة بفعل التكتيكات التي اعتمدها لا سيما لناحية انسحاب مرشحين لصالح اخرين مما حال دون تشتت الأصوات.

السبب الخامس، تصويت الأقليات من أصول عربية وإسلامية وأفريقية بكثافة لصالح جبهة اليسار لتجنّب خطر فوز اليمين المتطرف الذي يطرح برنامجاً ضدّ الهجرة ويهدّد بالنيل من حقوق المهاجرين، وإحداث هزات اقتصادية واجتماعية، ويؤيد «إسرائيل» في حربها على غزة، في حين أنّ اليسار يدعم القضية الفلسطينية وهو ما تجلى في إعلان زعيم اليسار ميلانشون أثر ظهور النتائج الأولية للانتخابات، «علينا الاعتراف بدولة فلسطين»، الأمر الذي يتناقض أيضاً مع سياسات ماكرون الداعمة لـ «إسرائيل» بينما من المعروف انّ اليسار يرفض العنصرية ضدّ الأقليات المهاجرة..

لكن مع ذلك فإنّ اليسار الذي حاز على ١٨٢ مقعداً لا يملك أغلبية نيابية للحكم، وهو لا يؤيد التحالف مع حزب الرئيس الذي حصل على ١٦٥ مقعداً، وهو طبعاً من باب أولى يرفض التحالف مع اليمين المتطرف الذي حاز على ١٤٥ مقعداً.

من هنا يبدو أن هذه النتائج ستدخل فرنسا في أزمة حكم، حتى ولو كان المخرج تشكيل حكومة تكنوقراط، لأنّ مثل هذه الحكومة تحتاج أيضاً إلى موافقة أغلبية برلمانية، الأمر الذي سيكون عرضة لاشتراطات مرتبطة بانتهاج بعض السياسات التي يطالب بها اليسار، او بالاستمرار بالسياسات التي يطالب بها تحالف معاً الخ

ولذلك طلب الرئيس ماكرون من رئيس الوزراء الحالي غابرييل أتال عدم الاستقالة ومواصلة حكومته تصريف الأعمال ريثما يتوفر الحل، مما دفع قيادات الجبهة الشعبية إلى اتهامه بمحاولة الانقلاب على نتائج الانتخابات والتهرّب من تكليف الجبهة تشكيل الحكومة الجديدة باعتبارها الجهة الفائزة بأعلى الاصوات.. على انّ كلّ المؤشرات تظهر انه لن تطول الفترة التي ستضطر فيها فرنسا للذهاب مجدداً إلى انتخابات جديدة في محاولة للخروج من هذه الأزمة التي أدخلت فرنسا في مرحلة من عدم الاستقرار السياسي مما ينعكس على الشارع، وبالتالي يؤثر سلباً على سياسات حكم ماكرون في دعم أوكرانيا في الحرب ضدّ روسيا، وتأييد حرب الإبادة الصهيونية ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.